

# قاعدة في الصبر

مختصرة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

علق على أصل المختصر

سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

حفظه الله

والمختصر أصله

أبو عبد الرحمن صبري بن مصطفى المحمودي

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جاء في الصحيح من حديث صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيراً له)<sup>(١)</sup>.

قال ساحة المفتي: المسلم في هذه الدنيا بين أمرين: إمَّا نَعَمُّ متواصلة أو ابتلاء كثير، فالمسلم مع الحاليين - مع الضراء صابراً ومع السراء شاكراً -، ولهذا لا تهمة الأمور، فهو مؤمن بقضاء الله وقدره، تمر المحن والفتن والمصائب لكنه ثابت؛ لأن إيمانه يجعله ثابتاً على أمرٍ واضح، صابر لله في ضرَّائه شاكر لله في رخائه، فالشكر والصبر جعلاه يعيش سعيداً ويعيش مطمئناً، لو قلَّ ماله ومرض جسده ما يهيمه شيء؛ لأنه بين أمرين: شكر وصبر، فلهذا المؤمن أمره خيرٌ كله.

أمَّا غير المؤمن فلا، الدنيا تعجبه ويراهها منزله، والبلاء يسقطه ويجعله في غاية الذل والهوان، فلا صبر ولا شكر، والله المستعان.

فالمؤمن متقلب بين منزلة الصبر والشكر وليس هذا إلا للمؤمن، فقضاء الله له كله خيرٌ إذا صبر على مكروهاها وشكر لمحبوهاها، بل المتأمل يرى أن الدين كله راجعٌ لهذين الأمرين (الصبر والشكر).  
قال تعالى: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)<sup>(٢)</sup>.

وقال بعض السلف: (الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر)<sup>(٣)</sup>.

### • والصبر على ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** صبر العبد على طاعة الله سبحانه حتى يفعلها، ففعل الطاعة يحتاج لصبر ومصابرة ومجاهدة.

**القسم الثاني:** صبر العبد على ما نهى الله عنه حتى لا يفعلها، فإن النفس ودواعيها وتزين الشيطان وقرناء السوء تأمره بالمعصية وتجريه عليها، وبحسب قوة صبره يكون تركه لها.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/٢٢٩٥)، رقم (٢٩٩٩).

(٢) سورة الشورى (٣٣).

(٣) أخرجه الشهاب في "مسنده" (١٥٩)، والخراطمي في "فضيلة الشكر" (١٨)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٩٧١٥)، جميعهم من طريق يزيد بن أبان الرقاشي، وضعفه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٦٢٥).

قال بعض السلف: (أعمال البر يفعلها البرُّ والفاجر، ولا يقدر على ترك المعاصي إلا صديق)<sup>(١)</sup>.

قال سماحة المفتي: لأن فعل الأوامر وترك النواهي ليس كفعل الطاعة لله، فهذه قد يقوى عليها الإنسان، فعل الطاعة قد يقوى الإنسان عليها وقد يُكثر منها، لكن ترك المعصية هي الشاقة؛ لأن المعصية تنطلق من شهوات وشبهات، والدنيا تترين له وينصرف قلبه، وسيطرة الشهوات عليه تجعله ما يصبر على الشهوة، قد يصبر على الطاعة لكنه لا يصبر على المعصية، والله المستعان.

**القسم الثالث:** صبر العبد على ما يصيبه بغير اختياره من المصائب، وهي نوعان:

**النوع الأول:** نوع لا اختيار للخلق فيه، كالأمراض والمصائب السوائية، فهذه يسهل الصبر عليها، لأن العبد يشهد فيها قضاء الله وقدره وأنه لا مدخل للناس فيها، فيصبر إما اضطراراً أو اختياراً.

بل إذا أراد الله بعبد خيراً فتح الله على قلبه باب الفكرة في فوائدها، فينتقل من الصبر عليها إلى الشكر لها والرضا بها.

**النوع الثاني:** ما يحصل له من أذى الناس في ماله أو عرضه أو نفسه، وهذا النوع يصعب الصبر عليه جداً، لأن النفس تستشعر المؤذي لها وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام.

وهذا النوع من الصبر لا يقدر عليه إلا الأنبياء والصديقون ومن سار على دريهم، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أذى قال: (يرحم الله موسى، لقد أذى بأكثر من هذا فصبر)<sup>(٢)</sup>، وأخبر عن نبي من الأنبياء ضربه قومه فجعل يقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)<sup>(٣)</sup>، ووقع له ﷺ فجعل يقول مثل ذلك<sup>(٤)</sup>.

فجمع في هذا ثلاثة أمور: العفو عنهم، والاستغفار لهم، والاعتذار لهم بأنهم لا يعلمون.

قال سماحة المفتي: في أحد شق رأسه ﷺ وكسرت ربايعيته فمسح الدم عن وجهه وقال: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)، اللهم صلي على نبينا محمد.

(١) هو قول لعبدالله بن سهل التستري، ذكره عنه أبو نعيم في "الحلية" (١٠/١٩٧)، وابن الجوزي في "صفة الصفوة" (٦٤/٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٣/٨)، رقم (٦٣٣٦)، وأخرجه مسلم في "صحيحه" (٢/٧٣٩)، برقم (١٠٦٢)، كلاهما من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/١٧٥)، رقم (٣٤٧٧)، وأخرجه مسلم في "صحيحه" (٣/١٤١٧)، برقم (١٧٩٢)، كلاهما من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٥٦٩٤) من رواية الزهري عن سهل بن سعد.

## • عاقبة الصبر على أذى الخلق:

وهذا النوع من الصبر - الصبر على أذى الخلق - عاقبته النصر والهدى والسرور والأمن وزيادة في محبة الله ومحبة الناس له، وزيادة في العلم، ولهذا قال تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)<sup>(١)</sup>.

فإذا صاحب الصبر قوة اليقين ترقى العبد في درجات السعادة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

قال تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم \* وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)<sup>(٢)</sup>.

## • أمور تعين العبد على هذا النوع من الصبر - الصبر على أذى الخلق :-

ويعين العبد على هذا الصبر عدة أشياء:

**أحدها:** أن يشهد العبد أن الله هو خالق أفعال العباد وحركاتهم وإرادتهم، فلا يتحرك شيء في العالم إلا بإذنه ومشئئته، فالعباد آلة فانظر إلى من سلطهم عليك ولا تنظر إلى فعلهم بك تستريح من الهم والغم.

قال سماحة المفتي: الله أكبر، إذا فكرت في نفسك صدقت حقاً، وعلمت أن هذا التسليط من جهة ذنوبك، لكن نغفل عن هذا فننسب خطأنا إلى غيرنا ولا نرجع إلى أنفسنا، والأل لو فكرنا في ذنوبنا وعيوبنا وأخطائنا وتقصيرنا لعلمنا أننا من هذا أوتينا، قد يغفل قلب العبد عن هذا الشيء فيعمل المعصية إمّا بترك مأمور أو فعل منهي، يغفل عن هذا الشيء وينسى ويسهو، ثم إذا أصابته المصيبة أنّ وصاح وصرخ ولا يفكر من أين أتى، الله جل وعلا له حكمة، فأحياناً يعجل العقوبة وأحياناً يؤخرها.

**وسبب غفلة الناس:** نقص التوحيد، وكثرة في المعاصي وتنوعها، والدنيا وشهواتها، اللهم أعنا على قلوبنا وأصلح أحوالنا، أقوالنا وأعمالنا محسوبة علينا ومحصاة علينا وسنوقف عليها يوم القيامة، نسأل الله أن يعاملنا بعفوه.

**الثاني:** أن يشهد العبد ذنوبه، وأن الله إنما سلطهم عليه بذنبه، كما قال تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)<sup>(١)</sup>.

(١) سورة السجدة (٢٤).

(٢) سورة فصلت (٣٤ - ٣٥).

فإذا علم هذا اشتغل بالتوبة والاستغفار من الذنوب التي سلطهم الله عليه بسببها عن ذمهم والوقية فيهم.

قال علي رضي الله عنه: (لا يرجون عبدٌ إلا ربه، ولا يخافن عبدٌ إلا ذنبه)<sup>(١)</sup>.

وروي عن غير واحد من السلف أنه قال: (ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة)<sup>(٢)</sup>.

**الثالث:** أن يشهد العبد حسن الثواب الذي وعده الله لمن عفا وصبر، كما قال تعالى: (وجزاء سيئة سيئةً مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين)<sup>(٤)</sup>.

**قال ساحة المفتي: في هذه الآية بيان لأقسام الناس في مقابلة الأذى:**

١- مقتصد يأخذ بقدر حقه: (وجزاء سيئة سيئةً مثلها).

٢- محسن يعفو ويترك حقه: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله).

٣- ظالم يأخذ فوق حقه: (إنه لا يحب الظالمين).

ويشهد نداء المنادي يوم القيامة: ألا ليقم من وجب أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا وأصلح<sup>(٥)</sup>، وهذا الأجر العظيم يضيع بالانتقام والاستيفاء ويحصل بالصبر والعفو.

**الرابع:** بالعفو والصفح تحصل سلامة القلب وبه أيضاً يسلم القلب من الغش والغل وطلب الانتقام وإرادة الشر، وحلاوة العفو والصفح أنفع للعبد من المنفعة التي تحصل له بالانتقام، ويكون بذلك محسناً (والله يحب المحسنين)<sup>(٦)</sup>.

**الخامس:** أن يعلم العبد أنه ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً يجده في نفسه، فإذا عفا أعزه الله تعالى، ففي الصحيح (ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً)<sup>(٧)</sup>، فالمنتقم عزيز في الظاهر ذليل في الباطن ومن عفا وصفح عزّ في الظاهر والباطن.

(١) سورة الشورى (٣٠).

(٢) أخرجه بمعناه معمر بن راشد في "جامعه" (٢١٠٣١) عن الحكم بن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس عن علي رضي الله عنهما، وله طرق أخرى.

(٣) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (١٢٤/٧)، رقم (٩٧١٨) من طريق معمر بن راشد.

(٤) سورة الشورى (٤٠).

(٥) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٥٢٤/٩)، رقم (٧٠٥٠)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٦) سورة آل عمران (١٣٤).

(٧) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢٠٠١/٤)، رقم (٢٥٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال سباحة المفتي: قال تعالى: (ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل)<sup>(١)</sup>، قرر ابن تيمية أن من انتصر لنفسه وإن كان جائزاً لا يصير إلى عز، وإن تركها لله زاده الله عزاً، فهو جائز أن يأخذ حقه لكن العفو أكمل، العفو منفعته في الدنيا والآخرة، لا سيما وأن الذي يعتاد الانتقام لنفسه لا بد أن يقع في الظلم ويتعدى.

**السادس:** من عفا عن الناس عفا الله عنه، ومن غفر لهم غفر الله له، فالجزء من جنس العمل، ويكفي العاقل هذه الفائدة.

**السابع:** من اشتغل بالانتقام وطلب المقابلة ضاع عليه الزمان وتفرق عليه قلبه وفاته من مصالحه ما لا يمكن استدراكه، فإذا عفا وصفح فرغ قلبه وجسمه لمصالحه التي هي أهم عنده من الانتقام.

**الثامن:** من السنة ترك الانتقام لحظوظ النفس، فإن رسول الله ﷺ ما انتصر لنفسه قط، وهو خير خلق الله وأكرمهم على الله، وأذاه أذى لله، ويتعلق به حقوق الدين، ونفسه أشرف النفوس وأزكاها وأحقها بكل خلق جميل، فكيف ينتقم أحدنا لنفسه التي هو أعلم بها وبما فيها من الشرور والعيوب، بل العارف لا تساوي نفسه عنده أن ينتقم لها.

**التاسع:** أن يشهد معية الله معه إذا صبر، ومحبة الله له ورضاه، ومن كان الله معه دفع عنه من الأذى ما لا يدفعه عنه أحد من الخلق، قال تعالى: (واصبروا إن الله مع الصابرين)<sup>(٢)</sup>، وقال: (والله يحب الصابرين)<sup>(٣)</sup>.  
ومن صدق في طلب شيء من الأشياء بذل من الصبر في تحصيله بقدر صدقه في طلبه.

قال سباحة المفتي: الأولون كانوا يركبون البحار في السفن الشراعية القديمة ويتعرضون لأموالهم ويتعرضون للسراق وقطاع الطريق حتى يبلغ التجار مقاصدهم.

وقديماً أظنه في القرن التاسع حج المشركيون من العراق إلى مكة فجاءهم الأعراب وجردوهم من ثيابهم وأموالهم فدخلوا مكة عراة.

**العاشر:** الصبر داخل في مسمى الإيمان، فإذا صبر العبد على أذية الخلق زاد إيمانه وسلم من النقص، والله يدافع عن الذين آمنوا.

**الحادي عشر:** في الصبر على أذى الخلق قهر للنفس وغلبة لها، فمتى كانت النفس مقهورة معه مغلوبة لم تطمع في استرقاقه والقائه في المهالك، وعكسه إذا كان منتصراً لها.

(١) سورة الشورى (٤١).

(٢) سورة الأنفال (٤٦).

(٣) سورة آل عمران (١٤٦).

**الثاني عشر:** أن يعلم العبد أن الله ناصره ولا بد، ومن انتصر لنفسه وكله الله إلى نفسه، فأين من ناصره الله - خير الناصرين - إلى من ناصره نفسه - أعجز الناصرين -.

**الثالث عشر:** أن صبره على من آذاه يوجب رجوع خصمه عن ظلمه وندامته واعتذاره، قال تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)<sup>(١)</sup>.

**الرابع عشر:** انتقام العبد لنفسه موجب لزيادة شر خصمه، فإذا عفا وصفح أمن من هذا الضرر، والعاقل لا يختار أعظم الضررين بدفع أدناهما، ومم قد جلب الانتقام والمقابلة من شرّ عجز صاحبه عن دفعه، ومم ذهب نفوس ورياسات وأموال لو عفا المظلوم لبقيت عليه.

**الخامس عشر:** من اعتاد الانتقام لنفسه لا بد أن يقع في الظلم، فإن الغضب قد يخرج بصاحبه إلى حد لا يعقل ما يقول وما يفعل، فينقلب من مظلوم ينتظر النصر إلى ظالم ينتظر العقوبة.

**السادس عشر:** أن عفوه وصبره من أكبر الجند له على خصمه، فإذا عفا وصبر كان ذلك موجباً لذل عدوه وخوفه وخشيته منه ومن الناس، فإن الناس لا يسكتون عن خصمه وإن سكت هو، فإذا انتقم زال ذلك كله.

**السابع عشر:** أنه إذا عفا عن خصمه استشعرت نفس خصمه أنه فوقه وأنه قد ربح عليه، فلا يزال يرى نفسه دونه، وكفى بهذا فضلاً وشرافاً للعفو.

**الثامن عشر:** أنه إذا عفا وصفح كانت هذه حسنة، والحسنة تولد له الأخرى، فلا تزال حسناته في مزيد، فإذا انتقم وانتصر لنفسه زال ذلك.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تم بحمد الله ليلة الخميس ١٢ / ٣ / ١٤٣٧ هـ

بنجد - الرياض - أعزها الله بالتوحيد والسنة

كتبه: أبو عبدالرحمن صبري المحمودي

s.m.a.m3000@gmail.com

---

(١) سورة فصلت (٣٤).

